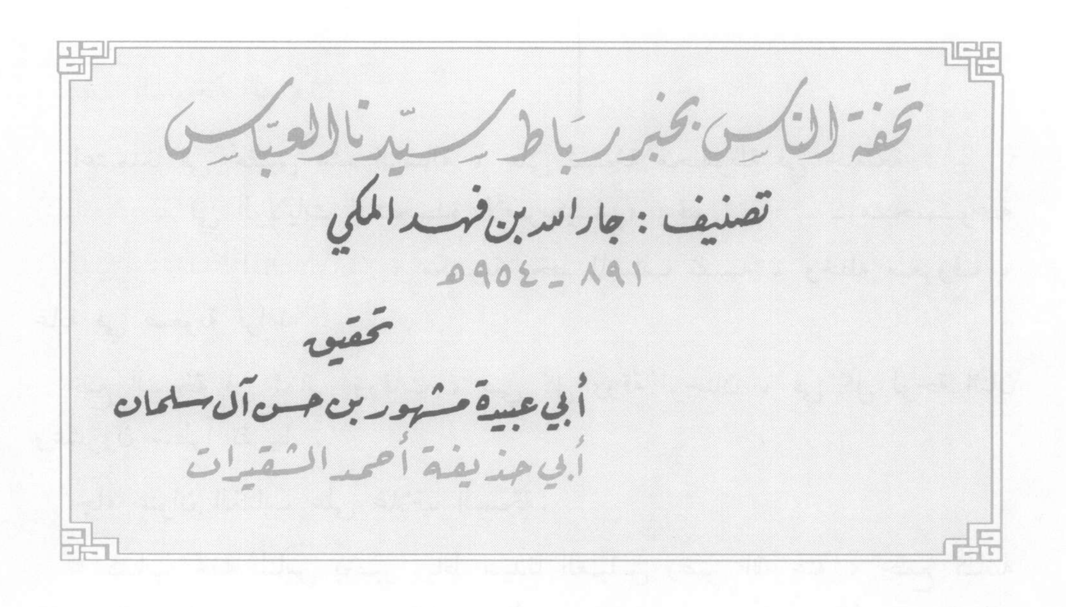


مقدمة التحقيق

إن الحمدلله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فهذه رسالة لطيفة ، هي أول ما يُطبع من مصنّفات محدث مكة في القرن العاشر ، المؤرّخ الأديب جار الله بن فهد ، تلميذ الحافظ السخاوي ، أجاب فيها عن سؤال ورد إليه حول تاريخ رباط العباس بن عبدالمطلب ، والرِّباط مكان يُعدّ لنزول من أراد الإقامة والمكث ـ الموجود بالمسعى بجانب العلم الأخضر، قبالة باب العباس بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه .

وصف النسخة المعتمدة:

اعتمدنا في تحقيق هذه الرسالة ، على نسخة محفوظة في جامعة (ييل) (YALE) ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، برقم (٢٣٥) ـ مجموعة (لانديرج) (LANDBERG) ، مكتوبة بخط المصنف نفسه ، وخطه معروف ، غاية في صعوبة قراءته .

تقع النسخة في ثماني ورقات ، في كل ورقة لوحتان ، في كل لوحة اثنان وعشرون سطراً تقريباً .

جاء عنوان الكتاب على غلاف النسخة:

« كتاب تحفة الناس بخبر رباط سيدنا العباس رضي الله عنه ، جمع كاتبه الفقير إلى لطف الله وكرمه ، الملتجئ إلى بيته وحرمه: محمد ـ المدعو جار الله ـ بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد ، ابن فهد الهاشمي ، المكي ، الشافعي ، لطف الله به .

وعلى النسخة تملكٌ ، كُتب تحت العنوان ، صورته:

« من أنعُم الله تعالى على عبده الفقير ، إبراهيم البنادقي صناعةً ، الشافعي مذهباً ، الرفاعيّ خِرقةً ، الخلوتيّ طريقةً ، الوفائيّ ، المكي ، أبي [في الأصل: أبا] مفلح ، ابن المرحوم أحمد الحلاق ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن دعا لهم بالمغفرة ، آمين . سنة ١١٤٧ . ويليه الخبر المرفوع في أيام الأسبوع ، لمؤلفه بخطه » .

قلت: و عندنا مصوّرة عنها لكنها نسخة ناقصة .

وكُتب إلى يسار التملك ، تحت العنوان:

« في نوبة شرف الدين ، ابن شيخ الإسلام ، عفا الله عنه ، آمين » .

والمصنِّف جار الله ابن فهد قد كتب هذه الرسالة سنة ثلاث وأربعين وتسع

مئة ؛ كما يفهم من عبارته في رسالته هذه . انظر ص (١٨ـ١٩) .

وقد وصف الكوثري خط المصنف جار الله ـ في أثناء ترجمته له في « ذيول تذكرة الحفاظ » ص (٣٨٣) ـ بقوله : « ويقع فيما ينسخه كثير من التصحيف ، مع عدم جريه على قواعد الخط المتبعة ، وذلك مما يتعب الناقل من كتبه ، إلا إذا استرسل في مسايرته ، فلعله كان ممّن انصرف إلى الرواية قبل أوانها » .

وفي هذه الرسالة ـ على صغر حجمها ـ كثير من الأخطاء النحوية ، أشرنا إليها في مواضعها ، وهي تشير إشارة واضحة إلى ما قاله الكوثري .

ترجمة المصنّف [1]

اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

هو الشيخ المحدِّث المؤرِّخ الأديب محب الدين أبو الفضل محمد بن عبدالعزيز ابن عمر بن محمد ، الشهير بجار الله ، المعروف كسلفه بابن فهد ، الهاشمي، المكي من سلالة محمد ـ ابن الحنفيّة ـ بن علي بن أبي طالب [2].

ولد ليلة السبت ، لعشرين من شهر رجب ، سنة إحدى وتسعين وثمان مئة بمكة ونشأ بها في كنف أبويه .

والده هو عزالدين أبو الخير وأبو فارس [3] (٨٥٠ـ٩٢٢هـ) تلميذ الحافظ السخاوي ، وناسخ كثير من كتبه .

وجدّه هو نجم الدين أبو القاسم وأبو حفص [4] (٨١٢ ـ ٨٨٥هـ) قرين الحافظ السخاوي ، وبينهما مراسلات وودّ ، وأكثر السخاوي في « الضوء اللامع » من النقل عنه في تراجم المكيين ، له معجم شيوخه ، وأكثر من مؤلف

---

(١) وهذه أشهر مصادر ترجمته:
- ★ « تاريخ النور السافر » للعيدروسي ، ص (٢١٧ـ٢١٨) .
- ★ « الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة » للغزّي (٢/ ١٣١) .
- ★ « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » للسخاوي: ٣/ ٥٢ .
- ★ « كشف الظنون »: ٢٥٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٨٨٥ .
- ★ إيضاح المكنون »: ١/ ٢٠١ ، ٢٥٦ ، ٤٤٠ ، ٢/ ٥٩٤ .
- ★ « ذيول تذكرة الحفاظ »: ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ، بقلم الشيخ محمد زاهد الكوثري .
- ★ تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان: ٣/ ٣٢٢ .
- ★ « المخطوطات التاريخية بمكتبة المتحف العراقي » لكوركيس عواد ، ص ٧٨ .
- ★ « الأعلام »: ٦/ ٢٠٩ .
- ★ « معجم المؤلفين »: ٣/ ٤١٥ .

(٢) وساق نسب المصنِّف إلى علي: السيوطي في « نظم العقيان » عند ترجمته (جدّ والده » وكذا الغزّي في « الكواكب السائرة » في ترجمته (أبيه) ؛ وقد اعتنى السخاوي في «الضوء اللامع »: ١١/ ٢٦٥ ، ببيت ابن فهد على وجهٍ جيد .

(٣) طبع له « غاية المرام بأخبار أم سلطنة الحرام » بتحقيق الشيخ فهيم محمد شلتوت.

(٤) طبع له « إتحاف الورى بأخبار القرى » بتحقيق الشيخ فهيم محمد شلتوت .

في تاريخ مكة ، ينقل من بعضها حفيده المصنف في رسالته هذه.

وجدّ أبيه هو التقي أبو الفضل محمد (٧٨٧ ـ ٨٧١هـ) ، صاحب « لحظ الألحاظ في الذيل على تذكرة الحفاظ » ، شيخ الحافظين السخاوي والسيوطي ، وتلميذ الحافظ ابن حجر .

علمه ورحلاته وشيوخه:

وُلد جار الله ونشأ بمكة في كنف أبويه حيث اعتنى به والده ، فأحضره على شيخه السخاوي وهو في الرابعة من عمره ، فأسمعه من لفظه بقراءته ـ يعني بقراءة أبيه عبدالعزيز ـ ثم سمع منه أيضاً بعد ذلك .

وكذا أحضر على محب الدين الطبري الإمام فسمع منه ختم صحيح مسلم ، وثلاثيات البخاري ، والربع الأول من تساعيات العز بن جماعة ، والمسلسل . وأجاز له جماعة من العلماء:

- كعبد الغني بن البساطي .
- وعائشة ابنة عبدالهادي .

وشمس الدين محمد بن شهاب الدين البوصيري .

ولازم والده في القراءة والسماع ، وتوجّه معه إلى المدينة المنوّرة ، وجاور بها سنة تسع وتسع مئة ، وسمع بها من لفظ والده تجاه الحجرة الشريفة الكتب الستة و« الشفا » لعياض .

وسمع كذلك على نور الدين السمهودي تاريخه « الوفا » وفتاواه وبعض «الشفا » لعياض .

ومن شيوخه أيضاً الشيخ عبدالحق بن محمد السنباطي ، ولازمه في قراءة كتب الحديث وقد خرّج له جار الله بن فهد مشيخة اغتبط بها لما رآها .

رحل جار الله إلى مصر والشام وحلب وبيت المقدس واليمن ، وبلغت المدن التي ارتحل إليها نحو السبعين ، أخذ بها عن مشايخها والمسندين بها .

وكانت رحلته إلى حلب سنة اثنتين وعشرين وتسع مئة .

مصنَّفاته:

ألف جار الله بن فهد الكثير من المصنّفات، بين رسالة صغيرة ومجلدة كبيرة، أغلبها في التاريخ وفنونه، ومن هذه المصنفات:

١ـ «التحفة اللطيفة في أنباء المسجد الحرام والكعبة الشريفة»، ذكره له الغزي في «الكواكب السائرة»، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»، والبغدادي في «إيضاح المكنون»، والزركلي في «الأعلام» لكن بعنوان: «التحفة اللطيفة في بناء ....»، وأشار لكونه مخطوطاً.

٢ـ «السلاح والعدّة في فضائل بندر جدّة»، ذكره له الزركلي في «الأعلام»، وجرجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية»، وذكر أن منه نسخاً في برلين وفينا.

٣ـ «تاريخ» يفيد في معرفة وفيات المترجمين في «الضوء اللامع» من الأحياء، هكذا ذكره له الزركلي في «الأعلام»، والكوثري في الترجمة التي كتبها له في «ذيول تذكرة الحفاظ» وذكر الغزي في «الكواكب السائرة»: ١/ ٦٧ و ٢/ ١٣١، أنه جمع تاريخاً، دون تحديد خصوصية موضوعه.

٤ـ «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان»، ذكره له هكذا الزركلي في «الأعلام»، وذكر أن منه نسخة في السليمانية، برقم (٩٢٧). وذكره البغدادي في «إيضاح المكنون» بعنوان: «الخيرات الحسان في ترجمة السلطان سليمان».

٥ـ «الأقوال المتبعة في بعض ما قيل من مناقب أئمة المذاهب الأربعة»، كما في «الأعلام» للزركلي، وذكر أنه مخطوط بخطه، في خمس ورقات وذكره كحالة في «معجم المؤلفين» بعنوان: «الأقوال المتبعة في مناقب الأئمة الأربعة».

٦ـ «تحفة الإيقاظ بتتمّة ذيل طبقات الحفاظ»، ذيل بها على ذيل جدّه التقي محمد، المسمّى «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ». كما ذكر الزركلي والكوثري.

٧ـ « معجم الشيوخ » ، يذكر فيه أسماء شيوخه والشعراء الذين سمع منهم. ذكره له الزركلي في « الأعلام » ، والعيدروسي في « النور السافر » ، والغزي في « الكواكب السائرة » ، والكوثري في ترجمته .

٨ـ « تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووَجّ الطائف » ، ذكره له الزركلي، وذكره أنه مخطوط في مئة صفحة بالمكتبة الماجدية بمكة .

لكن ذكر حاجي خليفة وقال: « وهو مختصر على مقدّمة وبابين وخاتمة . ألفه سنة خمس عشرة وتسع مئة » . وذكره له كذلك كحالة في « معجم المؤلفين » . وفي دار الكتب المصرية نسخة منه برقم (٨١٠٣ ح) في (١٠٢) ورقة ، كما في « فهارس الدار » (١/ ١٣٧) بعنوان: « تحفة الطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف » .

٩ـ « منهل الظرافة بذيل مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة » ، ذكره له الزركلي في « الأعلام » ، والبغدادي في « إيضاح المكنون » .

١٠ـ « رسالة في كتاب السر في ديوان مصر » ، ذكره له حاجي خليفة في « كشف الظنون » ، وكحاله في « معجم المؤلفين » .

١١ـ « بهجة الزمان بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان » ، هكذا ذكره البغدادي في « إيضاح المكنون » ، و كحاله في « معجم المؤلفين » .

وذكره كوريس عواد في « المخطوطات التاريخية » بعنوان: « نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان » ، وذكر أنه ألفه في زمان السلطان سليمان القانوني ، ورتّبه على السنين ، مبتدئاً بسنة ثلاث وعشرين وتسع مئة ، ومنتهياً بحوادث سنة تسع وأربعين وتسع مئة ، وأن منه نسخة بخطه في المتحف العراقي، برقم: ١١٨١ ، في ١٠٩ صفحات .

١٢ـ « بلوغ الأرب بمعرفة الأنبياء من العرب » ، ذكره له حاجي خليفة في « كشف الظنون » وذكر أنه مختصر ألفه سنة ست وثلاثين وتسع مئة .

وذكره له أيضاً كحالة في « معجم المؤلفين » .

١٣ـ « تحقيق الرجا لعلوّ المقرّ المحبيّ ابن أجا » ، ألفه لشيخه محي الدين محمود بن محمد بن أجا التدمري الحلبي المتوفى سنة خمس وعشرين وتسع مئة[1] .

ذكره له حاجي خليفة ، والغزي في « الكواكب السائرة »: ١/٣٠٣ وذكر أنه عبارة عن جزء خرّجه لشيخه ابن أجا ، فيه عشرون حديثاً عن عشرين شيخاً ، ثم ذكر: ٢/١٣١ ، أنها أربعون حديثاً ؟ !

١٤ـ مشيخة ، جمعها لشيخه عبدالحق السنباطي ، ذكره له العيدروسي في «النور السافر » .

وفاته:

توفي جار الله بنُ فهد في السحر ليلة الثلاثاء ، خامس عشر جمادى الثاني، سنة أربع وخمسين وتسع مئة ، رحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة »: ١/٣٠٣ .

كتاب تحفة الناس بخبر رباط سيدنا العباس رضي الله عنه

جمع كاتبه الفقير إلى لطف الله وكرمه ، الملتجئ إلى بيته وحرمه :

محمد ـ المدعو جار الله ـ ابن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد ، الهاشمي ، المكي ، الشافعي .

لطف الله به .

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه تسْليماً.

يقول كاتبُه الفقيرُ إلى لطفِ الله وكَرمه ، الملتجِئ إلى الله وحَرَمه : محمدٌ ، المدْعُو جار الله ، ابنُ عبدِ العزيز بنِ عُمر بنِ تقيِّ الدِّين محمدٍ ، الهاشميُّ ، العَلويُّ ، المكِّيُّ ، الشافعيُّ ، خادمُ الحديثِ الشريف ، بحرم الله المطهَّر المُنيف، لطف الله به والمسلمين أجميعن :

الحمدُ لله وكفَى وسلامٌ على عبادِه الذين اصْطفى .

وبعدُ:

فهذا جَوابٌ لسُؤالِ بعضِ النَّاس ، عن عِمارة الرباطِ المنْسُوبِ لسيِّدنا العبَّاس ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عَبْدِ مَنافِ القُرشيِّ الهاشميِّ ـ رضي الله عنه ـ عمِّ النبي ﷺ ، الكائن بالمسْعَى الشريف ، بمكَّة المشرَّفة ، ومَن أوْقَفَه ، ووُليَ مشْيخته ، مِن أوَّل عِمارته إلى وقْت زمننا ، في الأربعين من القرن العاشِر ؟ وهل هو بيتُ سيِّدنا العبَّاس ـ رضي الله عنه ـ على الحقيقة ، جميعُه أو بعضُه؟ ومن كان متكلماً عليه وقتَ عمارته إلى الآن ، على تَوالي الزَّمان ؟

فقلتُ مُجيباً له ، مُستَعيناً بالله في إبْلاغ مَناله:

هذا المحلُّ من الدُّور المباركة ، بمكَّة المشرَّفة لدخول النبيِّ ـ ﷺ ـ لها ، وسَكنِ عمِّه العبَّاسِ ـ رضي الله عنه ـ فيها ، وهي قريبةٌ من سعايته ، أمام

بابِ البَيْتِ الشَّرِيف ، المأمورين بعمارته ، والمَوْعودين[1] بتنزُّل الرَّحْمةِ عند مُشاهدته ، ويَصْلحُ أن يُسَمَّى هذا الجواب:

« تُحْفةُ النَّاس بَخبَر رِبَاطِ سيِّدنا العبَّاس » .

وليَعلم السَّائلُ عن هذه المسَائل ، أنَّه قال الإمامُ أبو الوليد محمدُ بنُ [عبدالله بن][2] أحمدَ الأزْرَقيُّ في « تاريخ مكة »[3] : « ولسيِّدنا العبَّاسِ ـ رضي الله عنه ـ من الآثار المباركة، دارٌ شريفةٌ مشهورةُ البركةِ ، وهي بجنْبِ الدَّار التي بيد جعْفَرِ بن سُليمانَ ، وكان بها حَجَران عَظيمان ، يُقالُ لهما : إسَافٌ ونائلة، صنَمان يُعبدان في الجاهليَّة » .

وقال شيخنا الحافظ شمسُ الدين محمدُ السَّخَاوِيّ[4] ، نزيلُ الحَرمينِ الشريفين ، رحمه الله تعالى : « وقد أكْرَمَها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في الإسلام ، بمصيرها مُجاورةَ لأحَدِ العَلمَين الأخْضَرَيْن ، اللذين يُهَرْولُ السَّاعي بينهما في سَعْيه بين الصَّفا والمرْوة ، ويذكُرها الأئمةُ ، لا سيَّما الفقهاءُ وأصحابُ المناسك في كُتُبهم لذلك . وأدرجَها التقيُّ الفاسيُّ في الدُّور المباركة بمكَّة[5] .

قال الأزْرَقيُّ[6] ويزعمون أنَّها كانت لهاشم بن عَبْدِ مَنَافٍ ، ثمَّ صارتْ بيد وَلَدِ موسى بن عيسى . زاد غيرهُ[7] : أنَّ المنصور لاجينَ المنصُوريّ[8] عملها

---

(١) في الأصل: « المأمورون بعبادته ، والموعودون » .

(٢) زيادة من مصادر ترجمته .

(٣) مطبوع بعنوان « أخبار مكة وما جاء فيها من آثار » ، بتحقيق رشدي الصالح ملحس ، والعنوانان ، كلاهما ثابت في النسخ الخطية ، كما ذكر المحقق في وصفها ، والنص المذكور فيه: ٢/٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، بتصرف واختصار .

(٤) ترجم نفسه في « الضوء اللامع » له: ٨/٢ـ٣٢ ، وانظر مصادر ترجمته في مقدمة كتابه: « رجحان الكفّة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة » بتحقيقنا .

(٥) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: ١/٢٧٥ .

(٦) « أخبار مكة »: ٢/٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، بتقديم وتأخير .

(٧) هو التقي الفاسي في كتابه: « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام »: ١/٣٣٣ ، وسيأتي نقل المصنف لعبارته لاحقاً .

(٨) قُتل سنة: ٦٩٨ هـ . ترجمته في « العبر » : ٣/٣٩٣ ، « البداية والنهاية: ١٤/٣ .

مِطهَرةً ، ثم عَملها ابنُ أستاذه الناصرِ محمد بن قلاوون الألفِيّ[1] رباطاً ، واستمرَّ كذلك إلى وقتنا هذا . وهو مأنوسٌ[2] ، بالخير محروسٌ ، نزلتُه في أوّل مُجاورَاتي بمكَّة المكرَّمة ، وذلك في سنةِ ستٍ وخمسين وثماني مئة[3] .

ولأجْل هذه الدَّارِ الشَّريفة ، كان البابُ الذي يُقابلُها للمسجدِ الحرام ، يُعرف ـ للتَّمييز عن غيره من أبوابه ـ بباب العباس . وبذلك عرَّفه الأزْرقيُّ»[4] .

انتهى كلامُ شيخنا السَّخاويّ في تأليفه : « عُمدة النَّاس في مناقب سيِّدنا العبَّاس»[5] .

وذُكر أنَّ حسَّانَ بنَ ثابت الأنصاريّ ـ رضي الله عنه ـ [٢/٥] قال في مَدْحه ـ مُشيراً لإسْتسْقاء أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنهما ـ به[6] :

سأل الإمامُ وقد تَتابع جَدْبنا ... فسُقي الغمام بفي العباس

عمُّ النبيِّ وصنو والدِه الذي ... وَرِثَ النبيَّ بذاك دون النَّاس

أحْيىَ الإلهُ به البلادَ وأصبحتْ ... مُخْضَرَّةَ الأجْنابِ بعدَ إياس .

وقال شيخُ شيوخِنا الحافظُ الحجَّةُ ، أوّلُ قضاةِ المالكيَّة بمكَّةَ ، الشريفُ تقيُّ الدين ، أبو الطيِّبِ ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عليّ الحُسَنيُّ الفاسيُّ[7] المكيُّ ـ

---

(١) توفي سنة (٧٤١هـ) ، ترجمته في « ذيل العبر للحسيني (٤/ ١٢٤) « البداية والنهاية»: ١٤/ ١٩٠ ، « شذرات الذهب »: ٦/ ١٣٤ ، « الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين» ص: ١١٤ ، والألفي نسبة للألف ، وهي نسبة والده السلطان قلاوون ، قيل له ذلك لأنه اشتري بألف دينار انظر « فوات الوفيات »: ٣/ ٢٠٣ .

(٢) من الإنْس ، ضد الوحشة ، أي معمور مأهول . انظر لسان العرب (ا ن س) .

(٣) وقد جاور الحافظ السخاوي في مكة المكرّمة خمس مرات ، انظر تفصيل ذلك وسنوات إقامته فيها في أثناء ترجمتنا له في تقديمنا لكتابه « رجحان الكفة في بيان نبذة من أخبار أهل الصفة » .

(٤) من أخبار مكة: ٢/ ٧٨ .

(٥) انظر معلومات عن هذا الكتاب في دراستنا: مكتبة الحافظ السخاوي .

(٦) الأبيات ليست في ديوانه ، فتُستدرك عليه .

(٧) توفي سنة: ٨٣٢هـ ، ترجمته في « الضوء اللامع: ٧/ ١٨ ، وانظر: الأعلام: ٥/ ٣٣١ .

رحمه الله تعالى ـ في الباب الحادي والعشرين ، من كتابه : شِفاءُ الغَرام بأخبار البلد الحرام [1] : « ومن الدُور المباركة بمكَّةَ ، دارُ سيِّدنا العبَّاس بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه ـ بالمسْعى الشَّريف ، وفيها العلمُ الأخْضر ، وهي الآن رباطٌ للفقراء » .

ثم قال التقيُّ الفاسيُّ أيضاً ، في الباب الثالث والعشرين من « شفائه » ، عند ذكر الرُّبُطِ [2] : « منها الرِّباط المعروفُ برباط سيِّدنا العبَّاس ـ رضي الله عنه ـ بالمسْعَى ، وفيه العَلم الأخْضَرُ ، وكان مِطهَرةً ، ثم عُمِل رباطاً ، والذي عَمله مِطهَرةً : الملكُ المنصورُ لاجينُ المنْصُوريُّ ، والذي عَمله رباطاً ، ابنُ أستاذه الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوون الألفيُّ ، عظم الله أجْرَهما ، واسمُهما مكتوبٌ فيه على ما بلغني » . انتهى .

أقولُ : والتحقيقُ أنّي شاهدتُ مكْتُوباً على حَجَر عُلوّ بابِ الرِّباط المذْكورِ ، ممّا يلي المسْعى الشَّريف ما صورتُه ـ بعد بسم اللهِ الرحمن الرحيم:

أمَر بإنْشَاء هذا المكان المباركِ مولانا السلطانُ الملكُ العادلُ ، سلطانُ الدُّنيا والدِّين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، خادمُ الحَرمَين الشريفَين ، صاحبُ القبلتَين ، الوالي المنصور ، مستلم أمر المؤمنين . وذلك في شهور سنة اثنتين وتسعين وست مئة » . انتهى .

ووجدتُ أيضاً مكتوباً على البايَن الخشب مَفْقُوراً [3] ما صورته : « عِز لمولانا السُّلطان ، الملكِ المنصور خادِمِ الحرمَين الشّريفين ، ملكِ البرَّين والبحرَين». انتهى .

أقول: ولم يتبيَّن لي في الكتابتَين اسم المتوليَين للعِمارة في الزَّمانين ، وكشفْتُ في تاريخ « مورد اللطافة فيمن وُلِي السَّلطنة والخِلافة » ، للعلامة جمال الدين

---

(١) ٢٧٥/١ .

(٢) ٣٣٣/١.

(٣) أي محفوراً . انظر لسان العرب: (ف ق ر) ؟ ! راجع المعجم الوسيط .

يوسفِ بن تغـري بَرْدِي الأتابكي [1] ، رحـمـه الله تعـالـى ، فـرأيت أنَّ الملكَ العـادلَ هو زينُ الدين كـتْبـغـا المنصـوريّ[2] ، العـاشـر من ملوك التـرك ، وكـان سلطان الدِّيار المصريّة ، بعـد خلع الناصر محـمدِ بن قلاوون ، في مـحرَّم سنةِ أربع وتسـعين وست مئـة ، وكان نائب سَلطنتـه قبل ذلك . وأنَّ الملكَ المنصـورَ هو حسامُ الدين لاجينُ بنُ عبدالله المنصوريّ [3] ، الحادي عشر من ملوك التُّرك بالدِّيار المصريَّة ، وكـان متوليـاً لنيابة الشَّام في وقت تاريخ عِمـارةِ هذا البـاب ، (ونسبت) إلـيه أنه عَمل المحلَّ مِطهرةً ، كـما مـضى في كلام المتقـي الفاسيِّ .

وفـهـمتُ من هذَين الـتاريخَين أنّ الذيِ عـمله مطهـرةً العادلُ كَتْبُغـا ، وأنَّ الذي عمـله رِباطاً المنصورُ لاجين ، وذلك في زمن ابن أستاذه الأشْرَفِ صـلاح الدين خليل بن المنصور قلاوُون النَّجْميّ الصَّالحيّ[4] ، وكان من المبـاشِرين لقتله ، في أوائل المحرَّم سنة ثلاثٍ وتسعين ، وتولى عِوضَه العادل كتْبُغَا ، وكـان المنصور لاجينُ نائبـه ، ثم خلعه وتولى عِوضَه ، في المحرَّم سنة خـمس وتسعين وستّ مئةٍ [5] ، واستـمرَّ على ذلك نحـو أربع سنين ، حتى قتله جـماعـةٌ من المماليك الأشْرفيَّة بقـلعةِ الجبـل ، في العشـاءِ الآخرةِ ، عاشـر ربيع الآخر ، سنـة ثمان وتسعين وستّ مئةٍ ، وتولى عِوضه ابنُ أستـاذه الملكُ الناصرُ محـمـدُ بنُ قلاوون الألفيُّ ولايته الثانية [6] ، ودام فيهـا نحو عشرِ سنين ، ثم خلع نفسـه في شهر رمضـان ، سنة ثمان وسبع مـئةٍ ، وتوجَّه للكرك ، وقـام عِوَضه المظفرُ بيبرس

(١) انظر ترجمته ومصادرها في « معجم المؤلفين »: ٤/ ١٤٩ .

(٢) توفي سنة (٧٠٢هـ) ، ترجمته في فوات الوفيات »: ٣/ ٢١٨ـ ٢١٩. وغـاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام: ٢/ ٣٥ .

(٣) قـتل سنـة: ٦٩٨هـ ، ترجمتـه في « النجـوم الزاهرة »: ٨/ ٨٥ـ١٠٩ ، و « غـاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام »: ٢/ ٣٥ .

(٤) قتل سنة: ٦٩٣ هـ ، ترجمته في « فـوات الوفيات: ١/ ٤٠٦ ـ ٤١٥ . وانظر « العبر »: ٣/ ٣٧٩ .

(٥) في « العبـر »: ٣/ ٣٨٦ ، أن ذلك كان سنة ست وتـسعين . وفيـه: ٣/ ٣٩٣ أن سلطنة لاجين كانت سنتين فقط .

(٦) انظر « العبر » : ٣/ ٣٩١ .

الجاشْنكير ، دون السنة ، حتى خُنِقَ في شوال[١] ، سنة تسع وسبع مئة ، فعادَ النَّاصرُ محمدُ بنُ قلاوون ، في ليلةِ عيدِ الفِطر منها ، للولاية الثالثة ، وهي تُقاربُ اثنتين[٢] وثلاثين سنةً ، حتى ماتَ على فِراشه بقلعة الجَبل ، في آخر يوم الأربعاء ، العشرين من ذي الحجَّة ، سنة إحْدى وأربعين وسبع مئة .

أقولُ : ولا نعلم مَن طالتْ مُدَّتُه من ملوك التُّرك مثله ، سقى الله عهده .

وعلمنا من ذكْر هذه التَّواريخ ، وكلام الفاسيِّ أنَّه كان الرِّباط المذكورُ مِطهرةً، ثم عُمل رباطاً ، وذلك بعد قتل لاجين المنصوريِّ ، في أوَّل وِلاية أستاذه الناصر الثانية . وكانت أوَّل القرن الثامن ، ويؤيِّدُ ذلك عِمارة النَّاصِر هذا للبئر الآتية في سنةِ ستٍ وسَبع مئةٍ .

وقد سمعتُ من بعض أكابر بلدي يقول : إنّ سبب قتل لاجين المنصوريِّ عمارةُ هذا المحلِّ الشَّريفِ مِطهَرةً ، وأنَّه رأى في المنام ـ بعد عِمارته ـ صاحبَ الدَّار المذكورة ، سيِّدنا العبَّاس ـ رضي الله عنه ـ وهو يقول له : جعلتَ منزلي مطهرةً ؟ ! وأشارَ إلى قَتله ، فقُتل بعده ، كما قدَّمتُ ذِكْره .

وإنَّ أستاذه النَّاصرَ محمدَ بن قلاوون غيَّره بعد موته ، وجعله رباطاً على وضْعه الآن .

وهو طبقة واحدة سُفْلِيَّةٌ ، وعَدَدُ خلاويه تسعٌ[٣] وثلاثون خَلوَةً ـ بتقديم المثَنَّاة ـ ثم زِيدَ فيه ثلاثٌ[٤] ، أحدُها لشيخه ، واثنان لبَوَّابه وسقَّائه ، والباقون[٥] لأهل مكَّة المنْقطعين به.

---

(١) كذا في الأصل ، والصواب أنه في رمضان لا شوال ، كما ذكر الحسني في « ذيل العبر»: ٣/ ١٢٤ ، هرب في شوال وعاد الناصر ليلة عيد الفطر ، كما سيذكر المصنّف الآن ، نعني أن رمضان قبل شوال وبيبرس هرب لما تأكد من مسير الملك الناصر للعودة. وانظر « البداية والنهاية »: ٤٩/١٤ـ٥٦ . و« غاية المرام »: ٢/ ٧٩ـ٨٠ .

(٢) في الأصل « اثنين » .

(٣) في الأصل: « تسعة » .

(٤) في الأصل: « ثلاثة » .

(٥) في الأصل: « والباقين » ، وعبارة المصنّف هكذا صحيحة لغة ، واللغة المشهورة لو قال: « إحداها ، ... واثنتان ، والباقيات » .

وفي وسَطه صِهْريجٌ [1] ومَجْمَعٌ للطلبة ، وفي رُكْنِه الشَّرْقيِّ مَطاهرُ سَبْعٌ [2] - بتقديم المهملة - وبجانبها بِركةٌ سُفْليَّةٌ ، وثانية عُلويَّةٌ ، يُصَبُّ فيهما الماءُ من بئر خارجةٍ عنه ، في جهة خط سوقِ الليل .

وله أوْقافٌ أمامه ، من جهةِ الغرب والقِبْلة ، تُشرفُ على المسْعى ، فيها (غرانان) ، وخمسةُ دكاكين تحتها ، وبيتٌ في شارع سُوق الليل ، عُوِّضه الخواجا شمسُ الدين محمدُ ابنُ الزَّمن الدِّمشقيُّ [3] - عفا الله عنه - لما استَبْدله من بعض وقْفِه المجاور له ، على يمينِ الدَّاخل إليه ، الملاصِق لرباطه الجاري بالمسْعى الآتي ذكرُه .

ومهما تحصَّلَ من ريْع الوقْفِ يُصرفُ على عِمارته ومَصالح الرِّباط ، كالسَّقَّاء والبوَّابِ وشيخه والنَّاظِر عليه ، وغير ذلك ممّا يعودُ نفعُه إليه ، كما يَشْهد له استثمار الوقْفِ المبْرور .

وقال القاضي تقيُّ الدين الفاسيُّ في كتابه « شفاء الغرام » ، عند ذكْر الآبار [4] : « ومنها بئرُ مَيْضأةِ الملكِ الأشْرفِ شعبان [5] ، عمَّرها جدُّهُ الملكُ النَّاصرُ - يعني محمدَ بن قلاوون - سنةَ ستّ وسبع مئة ، لأجْل رباط سيِّدنا العبَّاس - رضي الله عنه - فيما أحتسب ، فإنَّ منها إليه قناةً يُسكبُ فيها الماء » .

ثم قال الفاسيُّ أيضاً [6] إنّ الميْضأة المذكورة : « بالمسْعى الشَّريف ، قِبالةَ بابِ المسجد الحرام ، المعروف بباب عليّ ، وكان المتَولي على - عمارَتها الأمير أبو بكر ابنُ سُنْقُر الجمالي ، في سنةِ ستٍّ وسبعين وسَبْع مئة » .

---

(١) الصهريج: حوض يجتمع فيه الماء . انظر « مختار الصحاح »: (ص هـ ر ج) .

(٢) في الأصل: « طهارات سبعة » .

(٣) توفي سنة (٨٩٧هـ) ، ترجمته في « الضوء اللامع »: ٨/ ٢٦٠ - ٢٦٢ .

(٤) (١/ ٣٤١) .

(٥) توفي سنة (٧٧٨ هـ) ترجمته في « ذيل العبر » لابن العراقي (٢/ ٤٤٨) .

(٦) (١/ ٣٥٠) .

وكتب جَدِّي الحافظ نجمُ الدين عمرُ بنُ فهدٍ المكيُّ [1] ، على هامش هذا الكلام : « إنه استأجر المِيْضَأة المذكورة الخَواجا شمسُ الدين محمدُ بنُ الزَّمِن الدِّمشقيُّ ، في سنةِ أربع وسبعين وثمان مئة، وعمَّرها على غير هيئتها ، وأعادها مَيْضَأةً في سنةِ خمس وسبعين ، ونقل بابَها إلى الجهةِ الشرقيَّةِ ، فإنَّه كان في الجهةِ اليَمانيَّة ممَّا يَلي المسْعى » . انتهى .

وقال جَدِّي أيضاً في تاريخ « إتحافُ الوَرى بأخبار أمِّ القُرى » [2] ، في (حوادثِ سنةِ خمس وسبعين وثمان مئة) :

وفيها ، في يوم السَّبت ، ثاني عشرَ رجَبٍ ، كان عَقْدُ مجلس في المسْجد الحرام ، سبَبُه أنَّ الخواجا ابن الزَّمن استأجرَ مَيْضأة [لنفسه] [3] الأشْرفِ شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوُون [4] ، التي بين الميلين بالمسعى ، والرَّبْعَ [الذي] [5] ، عليها ، وأربعة دكاكين ملاصقةً [6] للميْضأة ، من وقْف رباط سيِّدنا العبَّاس - رضي الله عنه - عمِّ النبيِّ ﷺ ، وهو [7] على يمين الدَّاخل إلى الرباطِ ، بالمسْعى أيضاً ، وكان استئجارُه لذلك بالقاهرة ، في سنةِ أربع وسبعين وثمان مئة » . ثم ذكر صورة العمارة ، وما وقع فيها من التَّعدّي والنَّكارة ، فلا نطوِّلُ بذكْرِهِ وليُراجعه طالبُه في محله .

وقال والدي [8] الحافظ عزُّ الدين عبدُ العزيز بنُ فهدٍ الهاشميُّ المكِّيُّ -

---

(١) توفي سنة (٨٨٥هـ) ترجمته في « الضوء اللامع »: (١٢٦/٦-١٣١) . وكلامه في «إتحاف الورى »: (٥٢٥/٤) .

(٢) (٥٢٧/٤ - ٥٢٨) .

(٣) سقطت من الأصل ، وأثبتُّها من « إتحاف الورى » .

(٤) كان سلطان مصر في سنة ٧٦٤ هـ إلى سنة ٧٧٨ هـ .

(٥) سقطت من الأصل ، وأثبتُّها من « إتحاف الورى » .

(٦) في الأصل: « ملاصقين » . وما أثبتناه من « إتحاف الورى » .

(٧) في الأصل « وهم » وما أثبتناه من « إتحاف الورى » .

(٨) توفي سنة (٩٢٢ هـ) ترجمته في « الكواكب السائرة »: (٢٣٨/١-٢٣٩) ، وفيه أن وفاته سنة (٩٢٠هـ) ، خلافاً لما سيذكره ولده المصنف لاحقاً ص (١٧) .

رحمـه الله تعالى ـ : « إنَّ السُّلطانَ الأشْرفَ قـايتباي الجرْكسيَّ [1] ، استـأجر مِطهَرَة النَّاصـرِ محمـد بن قـلاوون ، التي عند بابِ بني شَيْبـة ، وعمَّرها خـاناً ورَبْعـاً ، في سنةِ تسْع وثمـانين وثمـان مئـةٍ ، واسْتبدل عِوَضـهـا مِطهَرته التي أنْشأها بالمسْعَى . أمـام بابِ الجنائز . عند رأس زقاق الحجـر ، المجاورة لرباطِ العبَّاس المذكُور ، وجـعل إليهـا قناةً من البـئر التي عـمَّرها النَّاصـرُ محـمـدُ بنُ قلاوون لرباط العبَّاس ـ رضي الله عنه ـ وهي في سُوق الليل » . انتهى .

فتحقَّقْنا مِن هذا الكلام عمارةَ النَّاصِر محمد بن قلاوون لهذا الرِّباط للأنام ، ولم أطلع على تحْديد دار سيِّدنا العبـاس ، إلا بما ذُكر فـيـهـا من الإيضاح والإلباس ، وما علمتُ مَن كان مُتحدِّثاً على الرِّباط وأوْقافه ، في أوَّل إنشائه، لكنِّي أدْركتُ في زمَنِنا أميـر المؤمنين ، الخليفة العبَّاسيَّ المقيم بمصر يتكلمُ عليه ، وتولى نيابته مَن كان مَنسُوبا إليه.

فـأوَّلُ مَن علَمتُه تحدَّث على الرِّباط المذكـور ، طالبـاً للطوب والآجُور ، من الفقهاءِ العدَّة ، في القرن التاسع وبَعْدَه:

السيِّدُ الشَّريف ، قاضي المسلمين ببلد الله الـمُنيف ، محي الدِّين، عبدُ القادر ابنُ أبي الفتْح محمدِ بن أحمـدَ بن أبي عبدالله الحسنيُّ الفاسيُّ الحنْبليُّ المكيَّ [2] ، مِن أوَّل القرن التَّاسع حتى ماتَ في سنةِ سبع وعشرين وثمان مئةٍ.

وقـال جـدِّي في مؤلـفه « الدُّرُ الـكَمينُ بذيل العِقـدِ الثمين في تاريخ بلدِ الله الأمين » ، للتـقيِّ الفـاسيِّ ، في ترجـمةِ قـاضي القـضاة ، بهـاءِ الدِّين أبي البَقـاء مـحـمدِ ابـن أول قُضاةِ الحنفيَّة بمكـةِ ، شهـابِ الدِّين أحـمـد ، ابن الضِّيـاء ، القرشيِّ ، الغمْريِّ ، المكيِّ ، الحنفيِّ [3] :

« إنَّه وُليَ النَّظر على رباطَي كـلالة والعبـاس بالمسْعـى ، عِوضاً عن القـاضي عبـدِ القادر بن أبي الفَتحْ الفـاسيِّ ، في سنةِ سبع وعشـرين ، ثم عُزل في سنةِ

(١) توفي سنة (٩٠١ هـ) . ترجـمـتـه في تاريخ النـور السـافـر ص (١٥ـ١٧) ، « الـضـوء اللامع»: (٦/ ٢٠١) .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع »: ٤/ ٢٧٢ . و« غاية المرام »: ٢/ ٥٣٩ .

(٣) توفي سنة (٨٥٤هـ) ، ترجمته في » الضوء اللامع »: ٧ / ٨٤ـ٨٥ .

ثلاثٍ وأرْبعينَ عن رِبَاطِ العبَّاس بالقاضي عبدِاللطيف الفاسيِّ [١] ، وهو أخو عبدالقادر الماضي ، الذي وُلِّيَ عِوَضه » .

أقولُ : وقد رأيتُ مع رُؤساء المؤذِّنين بزمْزم مَرْسُوماً من الأشْرف برسباي [٢] ، مُؤرَّخاً بعام ثلاثين وثمان مئةٍ ، بولاية مَشْيخةِ رباطي العبَّاس والخوزي [٣] ، لجدِّهم الرَّئيس جمال الدين محمدِ بن أبي الخير محمد بن [أحمد بن] عليِّ بن عبدالله بن عليِّ بن محمد بن عبدالسلام الكازرُونيّ المكيِّ [٤] ، ولم أرَ من تعرَّضَ لذِكر ذلك من المؤرِّخين، وهو قد مات في سنة سَبْع وخمسين ، بعد القاضِيَيْن عبداللطيف الحنْبلي ، وأبي البقاء ابن الضِّياء الحنفيِّ ، الماضِيين ، بأربع سنين ، وكأنَّه لم يمكُث فيها ، أو لم يستَمرّ فيها بيقين .

وقال جدِّي في « الدُّرّ الكمين » : « إنَّ قاضي القضاة السيِّد محي الدِّين عبدَالقادر بن عبداللطيف بن أبي الفتح محمدِ بن أحمدَ بن أبي عبدالله الحسنيَّ الفاسيَّ الحنْبليَّ وُلِّيَ النَّظر على رباط سيِّدنا العبَّاس بعد والده ، وهو مات في سنةِ ثلاثٍ وخمسين وثماني مئةٍ » .

أقول واستمر على ذلك أربعاً [٥] وأربعين سنة ، حتى مات وهو في رابع عشر شعبان ، عام سبع [٦] وتسْعين وثماني مئةٍ ، بالمدينة الشَّريفة ، ودُفن بها.

ثمَّ وُلِّيَ المشيخة ونيابة النَّظر من القاهرة : القاضي زين الدِّين صالحُ بن

---

(١) ترجمته في « الضوء اللامع .

(٢) ترجمته في « النجوم الزاهرة »: ٢٤٢/٤ ، و ١١١/١٥ ، و« غاية المرام »: ٢/ ٣٣٧ـ٣٣٨ .

(٣) الخوزي بخاء وزاي معجمتين ـ موجود بزيادة باب إبراهيم ، وقفه الأمير قرامر بن محمود بن قرامر الأقدري الفارسي على الصوفية الغرباء والمتجرّدين ، كذا في الحجر الذي على بابه ، وتاريخه ـ فيما ـ أظن ـ سنة سبع عشرة وست مئة . قاله الفاسي في « شفاء الغرام »: ٣٣٢/١ .

(٤) ترجمته في « الضوء اللامع »: ٢٦/٩ ، وما بين معقوفتين منه .

(٥) في الأصل: « أربعة » .

(٦) في الأصل: « سبعة » .

قاضي القُضاةِ جمالِ الـدِّين محمدِ بن قاضي القضاة أبي البقـاء محمدِ ابن الضِّياء الغمْريُّ الحنفيُّ المكِّيُّ ، فلما وصلَ لمكَّة أخذها منه رغبـةً قاضي القضاةِ الشافعيُّ وناظِر المسجـدِ الحرام : جمـالُ الدِّين أبو السّعـود محـمدُ بنُ إبراهيم بن ظهـيرةَ القرشيُّ المخـزومي ، وأعطاها لولد المتوفى محجُوزةً الجمالي مـحمـدِ ابن قاضي القـضاةِ مـحي الدِّين عبـدالقادر الفـاسيِّ الحنبليِّ ، وتكلم عنه إلى أن مـاتَ وهو مُراهقٌ في السادس عشر من شعبان، سنة تسع مئةٍ، فصار يتكلم هو بنفسه على الرِّباط وأوْقافِه ، لولايته عليه وعُموم نظاره ، ويُباشرُ عنه الحاجُّ صبيح الحبشي، عتيقُ قـاضي القضاة الشريفِ مـحي الدين عبدِالقادر الفاسيِّ الحنبليِّ ، فلما ماتَ قاضي القضاة الجـمالي أبو السّعود ابن ظهيرة الشافعيُّ شهيداً، في بحر اليمن ، يوم الجـمعـةِ الأزهر ، حادي عـشر ذي الحـجَّة ، سنة سَبع وتسع مئـة ، تولى عِوَضه مشيـخة الرباطِ والتكلم على أوْقافه ـ نيابةً عن الخليـفةِ المسْتمسك بالله أبي (الصبر) يعقوب بن المتوكل على الله العربي عبدالعزيز الهاشميِّ العبّاسيّ ، أعزَّ الله ُ به الدِّين ، ورحمَ سلفه الأكرمين ـ الشيخُ الأصيل ، فخرُ الدِّين عثمانُ بن العربي عبـدِ العزيز بن عبـدِ السَّلام بن موسى بن أبي بكر بن أكبر ، الـشيرازيُّ الأصل ، المكيُّ الشـهير كسَلفـه بالزَّمْزميّ[1] ، ـ نسْبـةً لجدِّهم ، لسقايةِ العبَّاس وبئـر زمْزم ـ واستـمـرَّ على ذلك نحـو ستّ سنين ، فتـصـرَّف على أهْل الرِّباطِ والسَّاكنين ، فشكوْهُ على الخليفة بيقين ، فكتبَ مـحْضراً بالثناء عليـه ، فلم يمل خـاطرُ الخليفـةِ إليه ، وعـزله من التكلم على الرِّبـاطِ ، ولم يلتفت لما يُـبديه من العِفـاط[2] ، وسـأل بعض العُلمـاء الأخْيـار ، لمن يَصْلح عِوَضـه من أهْل مكة الأبْرار ، فـاختـاروا له والـدي ، وكنتُ رحلتُ للـقـاهـرة في طلبِ الحـديثِ الشَّريف، وقـضاء مـا أرى ، فطلبني الخليـفة المسْتـمسـكُ بالله أبو الصبـر يعقـوبُ العباسيُّ المشار إليه ، أدام الله نِعمـه عليه ، فأكرَمني غاية الإكْرام ، وأنزلني منه منزلة القائدِ من الزِّمام ، وفـوَّض إلى والدي ـ وقاهُ الله الباس ـ النظرَ بمكة على

---

(١) ترجمته في « الضوء اللامع »: ١١/٢٠٥ .

(٢) مصدر عفَط: عفَط ، وعفطان: الضراط . فقول المصنِّف: « عـفـاط » عاميّ ليس فصيحاً. قال في « لسان العرب »: وعفط في كـلامه يعـفِط عفطاً: تكلم بالعـربية فلم يُفـصح . وقيل: تكلم بكلام لا يُفهم » .

رباط جدِّه سيِّدنا العبَّاس وكتبَ له مَرْسُوماً بذلك ، وعليه خط ولده المتوكل على الله الحسَن المسالك ، فتضاعف دُعاؤنا لهم من غير ضعفٍ ، وثناؤُنا عليهم بدون وقفٍ .

ثم توجَّهت لوالدي بالمرسُوم ، فتوقف في قبول التكلم مُدَّةً ، خوفاً من تعبِ الأوْقاف والشكِّ ، ثم قبل ذلك لموافقتي، وطلب البركة هناك ، وتكلم على مَشيخة الرِّباط وأوْقافه غالبَ سنة أربع عشرة [(1)] وتِسْع مئةٍ ، ثم عُزل بخصْمه الشَّيخ عثمان الزمزميّ في وسطِها،لتجوُّهه [(2)] ، على الخليفة بالدّخالة [(3)] فيها، ثمَّ أعادَ النَّظرَ لوالدي في سنتها ، واستمرَّ على ذلك نحوَ تسع سنين ، حتى ماتَ في ظهر يوم الجمعة ، ثامن عشرَ جمادى الأوَّل ، عام اثنين وعشرين وتسع مئةٍ ، بمكة المشرَّفة . وكنتُ غائباً في بلاد الشَّام وحلبٍ ، وبلَّغني الخليفةُ المتوكِّلُ على الله أبو [(4)] عبدالله محمدٌ العباسيُّ ، نهاية المطلب ، وفوَّض إليَّ بعدَ والدِي مشيخة رباطِ جدِّه العبَّاس المعظم المذكور ، ونيابة النَّظر على وقفه المبرور، وكتب لي تشْريفاً معظماً لطيفاً ، مضمونُه أن يستقرَّ ويستمرَّ المخلص [(5)] السَّامي ، الشيخُ الأجلُّ الكبير الفاضلُ المفيدُ ، والمحدِّثُ الثِّقةُ المجيدُ المجْتبى المختارُ ، محبُّ الدِّين جارُ الله ، ابنُ المرحوم العلامةِ المحدِّثِ الشيخ الحافظ عزِّ الدين عبدِالعزيز بن فهدِ الهاشميِّ المكيِّ ، أدام الله تعالى عُلوَّه ، وحقق مَرْجُوَّه، فيما كان باسم والده المشارِ إليه ، من المشيخةِ ، ونيابةِ النَّظر، برباطِ جدِّنا السيِّد العبَّاس ـ رضي الله عنه ـ بمكة المشرَّفة ، وفي التحدُّثِ على أوقافِه، استقراراً تامّاً ، واستمراراً مباركاً عامّاً ، فليتلقَّ ذلك بالقبول ، وليتَّق الله فيما يفعلُ ويقولُ ، وليُباشرُ ذلك بقلبٍ مُنشرح، وأمل مُنفسح ، مباشرة تُقِرُّ النواظِر،

---

(1) في الأصل: « أربعة عشر » .

(2) أي اعتدائه ، قال في « لسان العرب »: (ج و هـ): « ويقال: جاهه بالمكروه جوْهاً أي جبهه » .

(3) صوابه أن يقول: « بالدَّخل »: الغش والفساد ، وأما (الدخالة) فليست فصحى . انظر لسان العرب » (د خ ل) .

(4) في الأصل: « أبي » .

(5) في الأصل: « المحلس » ، ولعلها: « الجليس » وفيه بُعدٌ .

وتشْرحُ الصُّدور والخَواطِرَ ، بأمانتِه المشهورةِ ، وديانته المشكورة، وليستْجلب الأدعية لنا بتلك البِقاع المشرَّفةِ، والأماكن المعظمةِ ، والفقراء والمساكين ، ومن بالرِّباطِ من القاطِنين والوارِدين . والوَصايا كثيرةٌ ، وملاكها التَّقوى ، فليتمسَّك بها بالسَّببِ الأقوَى . والله تعالى يتولاهُ ، ويُقرُّه فيما وَلاهُ، والخط الشَّريف أعلاه ، حُجَّةٌ في ثبوت العمل بمضمُونه ومقتضاهُ ، بمنِّه وكرمِه، بتاريخ (السادس عشر من) ، شهر ربيع الآخر ، سنة ثلاثٍ وعشرين وتسع مئة ». انتهى .

وقد باشرت مشيخة الرِّباط ، ونيابة النَّظر على أوْقافِه ، بحمدِ الله تعالى ، إلى تاريخنا ، نحو عشرين سنةٍ في زمننا ، وخاصمني في أوَّل دولة (الأروام) الشيخُ عثمانُ الزَّمْزميُّ فيها ، فأبْعده الناظرُ وأركانُ الدَّوْلةِ ، ولم يكن عندهم وجيهاً ، ثم مات بمكة ، في (السادس عشر من) رجب ، عام ثمانيةٍ[(١)] وعشرين وتسع مئةٍ ، فأشركتُ معي شقيقي المقرئ الصوفيَّ ، محي الدِّين عبدالقادر بن عبدالعزيز بن فهد المكيَّ - كان اللهُ له ولي - في مشيخةِ الرِّباط والنظر على الأوقاف ، ولم يُباشرْها ، لكنه يأخذُ معلوقهما للرِّفق والإسعاف ، فالله تعالى يعاملني وإياه بخفيِّ الألطاف ، ويُؤمِّننا ممَّا نخافُ يومَ المخافِ ، بجاه[(٢)] سيِّدنا محمد ﷺ وشرُف وكرم .

---

(١) في الأصل : « ثمان » .

(٢) هذا التوسل غير مشروع ، وقد منعه أئمة الهدى ، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه محمد بن عبدالهادي.